

ذلة



تقرير

أين أخطأ المسيحيون والسنة وقهوجي؟

أدت معركة عرسال إلى عدد من الشهداء والأسرى والجرحى. لكن ثمة خلاصات سياسية تبدو، للوهلة الأولى، خطيرة بقدر خطورة المعركة، وتتعلق بإدارة السياسيين ملفاً حساساً بخفة لا تشبه ما ينتظر البلد من تحديات

هيام القصيفي

ما آلت إليه معركة عرسال هو، ببساطة، نتيجة المراهنة على رئيس الحكومة تمام سلام والرئيس سعد الحريري وهيئة علماء المسلمين والنائب جمال الجراح ممثلاً كتلة المستقبل، في المفاوضات بين الجيش ومسلي «داعش». ولم يكن يمكن لمن راهن على هؤلاء، مضافاً إليهم وزراء الكتائب والتيار الوطني الحر، الذين وقفوا متفجرين على صفقة مفاوضات حكومية مجترأة مع «داعش»، إلا أن يصل إلى هذه النتيجة: انسحاب المسلحين ومعهم جنود الجيش اللبناني.

من أخطأ ومن أصاب في هذه المعركة التي ستكون مفصلية في حياة كثيرين نظراً إلى أنها حصلت في ظروف سياسية لبنانية معقدة، وفي ظل شعور رئاسي، ووسط انفلاش مسلحي «داعش» من العراق إلى سوريا وجرود عرسال، وقد يكون إلى غيرها من مناطق لبنان.

أخطأ حزب الله في دخول سوريا. نعم. ومنذ أن تدخل في سوريا لم يوفر معارضوه كلمة إلا قالوها. لكن أين أخطأ المسيحيون؟ وأين أخطأ الجيش في معركة عرسال؟ في ظل الشعور الرئاسي، تحول مجلس الوزراء بديلاً عن رئيس الجمهورية. لم يتعب الوزير جبران باسيل في معركة كما فعل في سعيه إلى اثبات توقيع جميع الوزراء، والمسيحيين منهم تحديداً، المراسيم الحكومية. وقامت قيامة رئيس تكتل التغيير والإصلاح العماد ميشال عون كي أصبح للمسيحيين حق التوقيع على المراسيم. ولم يوفر حليف باسيل، الوزير الياس أبو صعب، مناسبة إلا تحدث فيها عن حق المسيحيين في تثبيت إجراء في الإدارة اللبنانية. وشن الوزير سجعان فري حرباً على الحكومة لتصحيح كلمة في البيان الوزاري والحصول على حصة في تعيينات العمدة في الجامعة اللبنانية حفاظاً على الدور المسيحي.

الاثنين الفائت، وفيما كان مجلس الوزراء مجتمعاً في حضور الوزراء الموارنة والمسيحيين، أرسل رئيس الحكومة، الذي أثاره عقد قهوجي مؤتمراً صحافياً هو الأول من نوعه، يوم الأحد، عضو كتلة المستقبل النيابية جمال الجراح والشيخ سالم الرفاعي إلى قيادة الجيش طالباً بصفته رئيس السلطة السياسية التي يخضع لها الجيش، أن يتفاوض مع الوفد لوقف النار في عرسال. المفارقة أن الوزراء المسيحيين المجتمعين في جلسة مجلس الوزراء تفرجوا على هذا الطلب، وإن عرفوا به مباشرة أو عبر الإعلام. ووقفوا إلى جانب سلام يعلن تضامناً مع الحكومة مع الجيش، فيما لم يكلف وزير مسيحي نفسه عناء السؤال: لماذا يفوض الجراح والرفاعي قائد الجيش، وبأي صفة؟ ولأي هدف يقرر سلام، وخلفه الحريري ومستشاره نادر الحريري عبر أحد المقررين من الأخير، القيام بوساطة لوقف النار ومصير العسكريين مجهول، وما هي

موقفاً فعلياً وحسياً مع الجيش في مواجهة «داعش»، فيما هي تتباكي على واقع مسيحي الموصل. أين أخطأ السنة؟ تعاملت القيادات السنوية مع وضع عرسال كأنها حالة سنوية فحسب، وتعاملت مع الجيش في إطار حملة دعم لفظية واسعة، كلما كبر الدعم الكلامي والمالي، تلقى الجيش ضربة جديدة. مشكلة تعاظم رئيس الحكومة والحريري وتيار المستقبل انهم تناسوا أن عرسال مشكلة مزمنة، عمرها من عمر الأزمة السورية، وليست طارئة على الحدث السياسي. أين كان تيار المستقبل والقيادات السنوية من وضع عرسال المتفاجم منذ أكثر من عامين، وكيف تحولت هذه البلدة إلى خزان للمعارضة السورية أولاً، ومن ثم لـ «داعش» و«النصرة». وكيف أهمل واقع عرسال المعيشي

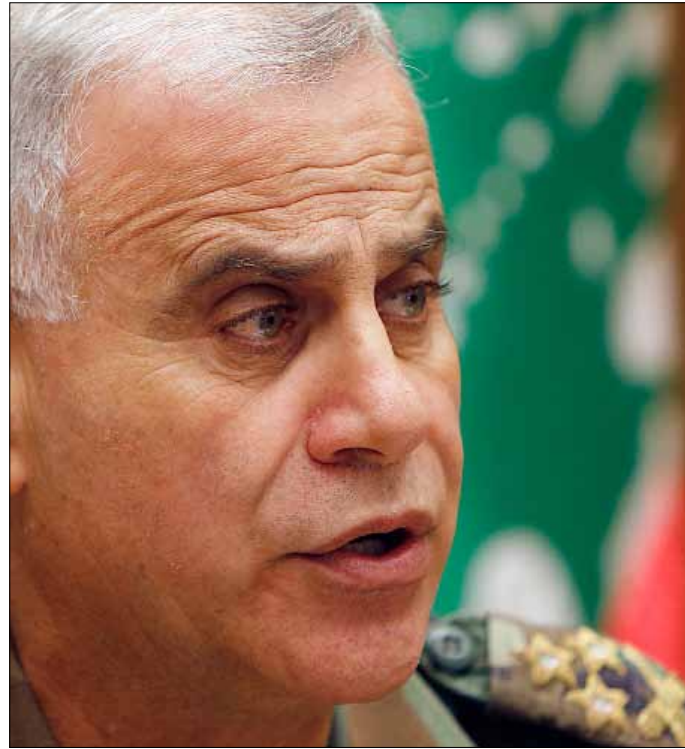
بنود التفاوض وخلفياتها؟ أين كان الوزراء المسيحيون من هذه الوساطة، وهل جرت بقرار جانبي من سلام بصفته بديلاً عن رئيس الجمهورية، أم مكلفاً من مجلس الوزراء مجتمعاً؟ وهل سكت الوزراء المسيحيون لأسباب تتعلق فقط برئاسة الجمهورية واحتمال وصول قهوجي إليها، فتركوا العسكريين والضباط فريسة مسلحي «داعش»، الذين يشن باسيل وأبو صعب وقري كل يوم هجوماً عليهم.

بعد وساطة الجراح، عقد سلام اجتماعاً وزارياً، لاسف، سني الطابع، في حضور الوزيرين اشرف ريفي ونهاد المشنوق وهيئة العلماء المسلمين. والسؤال: لماذا لم يحضر الاجتماع الوزراء المسيحيون والشيعية أيضاً، إلا إذا رأى سلام أن الوزراء الشيعة هم أصل المشكلة لأنهم السبب في زهاب حزب الله إلى سوريا، وحتى لا يتحول الاجتماع سبباً للانفجار السني - الشيعي. وهل سنشهد من الآن فصاعداً اجتماعات وزارية طائفية، فيجتمع الوزراء المسيحيون إذا وقع أشكال امني في كسروان أو جبيل أو بعبداء؟ وكيف يجبر المسيحيون أن زملاءهم السنة فحسب هم الذين يفوضون في قضية خطيرة كقضية عرسال، فيما مصير قضية كهذه يهدد البلد برمته؟ غاب البطريرك الماروني مار بشارة بطرس الراعي عن السمع، ولم يغط الجيش من المسيحيين سوى عدد محدود من الشخصيات المسيحية الواعية، ورئيس حزب القوات اللبنانية الدكتور سمير جعجع الذي اتصل، في موقف لافت، بقهوجي متضامناً. في غياب رئيس الجمهورية المسيحي ترك الجيش، ولم يحظ قهوجي بغطاء كان يفترض أن يؤمنه الرئيس المسيحي كما كانت الحال في معارك الضنية ونهر البارد وغيرها. طغت الرئاسيات على الساحة المسيحية فغرقت في خطأ تاريخي سيظل يحتسب لها، حين لا تقف

والاجتماعي والاقتصادي، لمصلحة تفاقم الحالة الإسلامية التي قتلت قبل عامين النقيب بيار بشعلاني والرفيق أول ابراهيم زهرمان، ولا تزال تمنع في قتل وجرح العسكريين. لماذا لم تتحرك قيادة المستقبل منذ أن رفض الجيش دك عرسال بالمدفعية قبل عامين، وأثر تحييد المدنيين، حتى تتحول البلدة إلى خط تماس دائم ومتفجر.

أخطأ رئيس الحكومة حين تحول من ابن بيت سياسي عريق إلى زعيم للسنة فحسب، ولاهالي عرسال، تماماً كما حاول رئيس الحكومة نجيب ميقاتي أن يفعل حين زار مقر قيادة الجيش اثر حادثة عرسال الماضية تحت عنوان التضامن مع الجيش، فاذا به يقف مع «الذين يعدون انفسهم مستهدين»، ويطالب بالتحقيق

كانت امام قائد الجيش خيارات اخرى يلتفت بها على من يريد احراق الجيش



في الحادثة. وأخطأ حين فاض، بالوساطة أو مباشرة، المسلحين، في وقت كان يعلن فيه أن الحكومة لا تفاوض الإرهاب، وأخطأ حين تخلى عن الجيش من أجل أن يمارس فحسب دور رأس السلطة التنفيذية في غياب رئيس الجمهورية. وأخطأ الحريري أنه صور للبنانيين دعماً سعودياً بقيمة مليار دولار تمر عبره وتوظف في السياسة المحلية، في وقت لا تزال فيه الهبة السعودية عبر فرنسا معلقة.

أخطأ تيار المستقبل ورئيسه حين اقنع اللبنانيين بأنه يقف إلى جانب الجيش في خطاب لم يوفر فيه الهجوم على حزب الله، فيما أربعة من نوابه: جمال الجراح ومعين المرعي وخالد ضاهر ومحمد كبرية، يهاجمون الجيش ليل نهار، ويتبنون بكل صراحة خطاب المسلحين ومطالبهم. ولعله نجح فقط حين صدقه كثيرون.

أين أخطأ قائد الجيش؟

فاجأ الجيش مهاجميه بسرعة مبادرته والتقاط انفاسه، فاستوعبت قطعه العسكرية الضربة الأولى وعنصر المغاغة. يسجل للضباط والعسكريين منذ اللحظة الأولى وقوفهم بشجاعة ضد الهجمات الارهابية، واستعادة مراكزهم ومواقعهم الامامية.

اعداد الجيش الوضع الميداني إلى ما كان عليه قبل يوم السبت 2 آب، لكن مع سقوط 17 شهيدا وعشرات الجرحى و 19 مفقودا.

الاخطر في كل ذلك هو موضوع الاسرى. كيف يمكن للجيش ان يقبل التفاوض اصلاً مع الجراح والرفاعي وهما حملاً عليه ولا يزالان، وتصريح الجراح الاخير امس يثبت ذلك، وهل هما موفدان حكوميان ام موفدا سلام والحريري ام المسلحين؟ لقد أخطأ الجيش بقبول وقف للنار أو هدنة أو أي تسمية أخرى بضمانة العلماء المسلمين، ليكتشف لاحقاً ان المسلحين خرجوا برفقة العسكريين، وكلام اعضاء وفد الهيئة قبل انتهاء اول اربع وعشرين ساعة حمل ما يكفي من الرسائل المبطنة التي كانت تنذر بذلك. فهل كان مقصوداً ان يقع أي من المفاوضات السياسيين أو الحكومة بالجملة والمفرق، الجيش في الفخ؟

لم يخطئ قائد الجيش في أنه لم يرد أن تكون عرسال نهر بارد جديداً، لكن أخطأ حين تجاوب مع وسطاء من أجل هدنة انسانية تحولت بفعل تواطؤ لا يزال مجهول المعالم مصيدة للعسكريين الذين تحولوا، كما كانت حال مخطوفي اعزاز وراهبات معلولا والمطرانين المخطوفين، حلقة في مسلسل ارهاب لا ينتهي.

ومن سيقود من الآن فصاعداً ملف التفاوض لاطلاق الاسرى: الوسطاء انفسهم، ام هيئة العلماء المسلمين بتكليف من سلام والحريري؟ وهل يمكن للقوى السياسية ان ترتد على قائد الجيش بسبب اخطاء ارتكبتها السلطة السياسية نفسها، لا سيما ان قائد الجيش قال ان المعركة لن تتوقف الا مع اطلاق الاسرى، لكن الاسرى صاروا في عهدة المسلحين الذين يريدون مع وراءهم ابتزاز لبنان والجيش.

لقد كانت امام قائد الجيش خيارات اخرى يلتفت فيها على من يريد احراق الجيش، ولكنه تعمد عدم اتخاذها، وصدق الوعود التي أعطيت له. وهي وعود يبدو ان القصد منها التميع. هناك أسئلة كثيرة مطروحة على قائد الجيش، والمطلوب أجوبة واضحة من دون وسطاء.

كيف يقبل الجيش التفاوض مع الجراح والرافعي وهما حملاً عليه ولا يزالان؟

